

حديث النبي ﷺ هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار

روي عن حضرة النبي ﷺ عن رب العزة :- إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَلَقَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي ، فقال قائلٌ : يا رسولَ اللهِ فعلى ماذا نعملُ ؟ قال : على مواقعِ القَدْرِ أخرجهُ الحاكم في المستدرک .

. * البيان *

الحديث متعلق بمرتبة العلم، فالله عز وجل قد علم عمل كل طائفة. فقال عن طائفة أهل الإيمان هؤلاء للجنة ولا أبالي. وقال عن طائفة أهل الكفر هؤلاء للنار ولا أبالي.

ولا يشعر أحد من الطائعين أو العاصين أنه مجبور على فعل من الأفعال بل كل منهم يفعل باختياره وإرادته وما كتب عليهم شيء مجهول لهم لا يعرفه واحد منهم ، وإنما يعرف الخير والشر الذي أمامه

فمنهم من يتقي الله ومنهم من يعصيه كل منهم يفعل ما يفعل مختاراً مع أمرهم جميعاً بالخير ونهيهم عن الشر والكفر وتكافؤ الفرص أمام الفريقين في المؤاخاة والعذر.

. وليس معنى هذا أن أعمالهم خارجة عن مشيئة الله وإرادته بل هي بمشيئته سبحانه فمن شاء الله هدايته للخير هداه وأعانه عليه ومن شاء إضلاله منعه التوفيق فلم يعنه ولم يثبتته وليس في ترك إعانة من لم يعنه ظلم لهم إذ لم يمنهم حقاً لهم.

والمؤمن يوقن بأن الله تعالى غني عن خلقه وأنه عدل رحيم لا يظلمهم مثقال ذرة بل هو سبحانه ينعم عليهم ويتفضل وهم يتبغضون إليه بالمعاصي .

فخيرهُ عز وجل إليهم نازل وشهرهم إليه صاعد فكيف يظن العبد أن الله تعالى سبظلمه فإن فهمت هذا فقد انحلت لك عقدة القدر وإلا فيكفيك قوله صلى الله عليه وسلم "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" متفق عليه.

]] قال العارف بالله محي الدين ابن عربي:-

خلق الله الخلق قبضتين فقال : هؤلاء للنار ولا أبالي وهؤلاء للجنة ولا أبالي . فمن كرم الله تعالى لم يقل هؤلاء للعذاب ولا أبالي وهؤلاء للنعيم ولا أبالي وإنما أضافهم إلى الدارين ليعمروها

(اي لا أبالي بمعنى أن طاعة الخلق لا تنفعه ومعصيتهم لا تضره ولكني أبالي بالطاعة فأجازي عليها والمعصية كذلك لكن رحمته لا يقيدها قيد ولا يحددها حد فكما أنه عز وجل مطلق فرحمته مطلقة)

فإنه ورد في الخبر الصحيح عن النبي ﷺ: إن الله لما خلق الجنة والنار قال لكل واحدة (ولِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)

أي أملؤها سكاناً فيستروح من هذا الرحمة من الدارين وشمولها حيث ذكرهما ولم يتعرض لذكر الآلام وقال بامتلائها ، وما تعرض لشيء من عموم ذلك

فكان معنى « ولا أبالي ، في الحالتين ، لأنها في المآل إلى الرحمة فلذلك لا يبالي فيها.

ولو كان الأمر كما يتوهمه من لا علم له من عدم المبالاة ما وقع الأخذ بالجرائم ولا وصف الله نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد

فهذا كله من المبالاة واهتمام المولي عز وجل بالمأخوذ إذ لو لم يكن لفعل العبد قدر عنده لما عذب ولا استعد له

وقد قيل في أهل التقوى:- (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)

وقال في أهل الشقاء (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)

فلولا المبالاة منه عز وجل واهتمامه بأفعال خلقه لما ظهر هذا الحكم فما أعظم رحمة الله بعباده وهم لا يشعرون ، فإن الرحمة الإلهية وسعت كل شيء فما ثم شيء إلا وفيه هذه الرحمة قال تعالى: . (إن ربك واسع المغفرة)

(ولا تنسي أنه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقد قال سبحانه وتعالى :- (يُدْجِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﷻ)

فلا تحجروا واسعاً فإنه لا يقبل التحجير ولقد رأيت جماعة ممن ينازعون في اتساع رحمة الله وأن هذه الرحمة مقصورة ومحددة لطائفة معينة فحجروا وضيّقوا ما وسع الله .

فلو أن الله لا يرحم أحداً من خلقه لحرم رحمته ممن يقول هذا الكلام (لأنه لولا المعصية لما ظهر اثر اسمه الغفور والغفار والتواب الخ ولكن أبى الله تعالى إلا شمول الرحمة

قال تعالى لنبيه ﷺ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) والعالمين يشمل الانس والجن مؤمن وغير مؤمن

وما خص مؤمناً من غيره والله أرحم الراحمين كما قال عن نفسه وقد وجدنا من نفوسنا ومن حملهم الله على الرحمة ، أنهم يرحمون

جميع العباد ، حتى لو حكمهم الله تعالى في خلقه لازالوا صفة العذاب من العالم لتمكن حكم الرحمة من قلوبهم .

فلا نشك أنه أرحم منا بخلقه ونحن قد عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة ، فكيف يكون العذاب سرمداً أبدياً عليهم بالعذاب وهو بهذه الصفة العامة من الرحمة ؟ إن الله أكرم من ذلك .

خاصة وقد قام الدليل العقلي على أن المولي عز وجل لا تنفعه الطاعة ولا تضره المخالفة وأن كل شيء جار بقضائه وقدره وحكمه وأن الخلق مجبورون في (عين اختيارهم أي أنك تفعل بإرادتك واختيارك ما كتبه في علمه وأنت لا تشعر)

وقد قام الدليل السمعي أن الله يقول في الصحيح : (يا عبادي) فأضافهم إلى نفسه وما أضاف الله قط العباد لنفسه إلا من سبقت له الرحمة ألا يؤبد عليهم الشقاء وإن دخلوا النار

فقال : (عبادي، لو أنَّ أُولَئِكَ وَأَخْرَجْتُمُ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاجِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاجِدٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ، مَا تَقَصَّ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا عُجِسَ فِي الْبَحْرِ،

يا عبادي، إِمَّا هِيَ أَعْمَالُكُمْ، أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ حَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.) [[

(الفتوحات المكية لابن العربي)

[[ودخل القاضي عبد الجبار الهمداني أحد شيوخ المعتزلة على أبو إسحاق الإسفراييني المعروف بالأستاذ، وهو من أئمة السنة

فقال القاضي عبد الجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء. أي: عن الإذن للفواحش بالوقوع، فهو يريد أن يقول له إن الفحشاء لا تقع بإذن الله فقال له أبو إسحاق الإسفراييني سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

فقال القاضي وهل يشاء ربنا أن يُعصى؟ فرد عليه إسحاق وهل يعصي العبد ربه قهراً؟

يعني هل تقع المعصية في ملكه غصباً عنه؟ فقال القاضي: رأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالضلال أحسن إلي أم أساء؟

فقال أبو إسحاق الإسفراييني إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فُهِت القاضي عبد الجبار ولم يستطع الرد.]]

{ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة }

قال العارف بالله أبو الحسن الخرقاني :-

[[لا أقول إنه لا ينبغي عليك العمل (ما دام قد كتب علي ما سافعله فما الفائدة)

بل عليك العمل (من عبادة وسعي في الدنيا) لكن عليك أن تعلم هل أنت الذي تفعل ما تفعله أم أنه يفعل بك ؟ تلك هي التجارة التي يتاجر فيها العبد بواسطة الحق فسوقك رابح بربك لا بنفسك]]

(تذكرة الأولياء للعطار)

. وقال العارف بالله أبو بكر الواسطي:-

[[طلب العوض والتطلع إليه من ثواب وأجر على الطاعات من علامات نسيان فضل الله تعالى عليك فالمقامات أقسام قسمت فكيف تستجلب بحركات أو تنال بالسعي.

(اي عليك السعي والعمل لكن لا تظن أنك بذلك تستحق ما عنده لأن ما في خزائن علمه كتبت لك منذ الأزل وقد قسمت لك) [[

(تذكرة الأولياء للعطار) . والله سبحانه وتعالى أعلي وأعلم وأحكم وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

. * المراجع*

- الفتوحات المكية ج ٤ ص ١٦٣ / ج ٣ ص ٢٥
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللاكثي
- تذكرة الأولياء للعطار ترجمة الإمام الواسطي
- تذكرة الأولياء للعطار ترجمة الإمام الخرقاني